

من تحديات الآخر للمجتمع العربي الإسلامي

أحمد مغازي

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعي - جامعة الجزائر

أولاً: تشخيص حالنا:

من أولى الملاحظات التي يلاحظها الإنسان ببداية الفارق الكبير بين العالمين: العالم الغربي بما يملكه من قوة العلم والتقنية، وقوة الأسلحة والجيش، وقوة المال والاقتصاد والنفوذ.

والعالم العربي الإسلامي بمكوناته ومقدّراته وخيراته، التي لا يستغلها خير استغلال، وبضعفه وانهزامه وتبعيته، الأمر الذي شكّل بين العالمين علاقة الغالب بالمغلوب، والمتبوع بالتابع، حسب تعبير ابن خلدون (ت808هـ).

ولئن كانت هذه العلاقة تخضع في الماضي للتفوق الذي يملكه الغالب فيفرض اتّباعه وتقليده بما يملكه من وسائل الغلبة، لدرجة احتواء المغلوب فإن هذه العلاقة لا تزال قائمة اليوم بإرادتنا وبغير إرادتنا.

تحكم هذه العلاقة اليوم السيطرة والقوة وفرض التقليد من الغالب بوسائل جديدة ومتطورة، خارجة عن دائرة الوسائل التقليدية، وسائل الهيمنة الاستعمارية المعروفة منذ فرنين من الزمن، دون الاستغناء عنها اليوم.

تتمثل وسائل اليوم من جملة ما تتمثل فيه: العلم والتقنية والاقتصاد والمال بصورة عامة، ووسائل الاتصال المتطورة بسرعة فائقة.

ونتيجة لهذا أصبح العالم الغربي يفرض إملاءاته وشروطه قصدياً مقصوداً، فصار يتدخل في شؤون العالم العربي الإسلامي الاقتصادية والثقافية والتربوية والتعليمية والتوجيه المجتمعي، وحتى محاولة رسم خطوط السياسة الداخلية والخارجية.

ثانياً: أزمنا:

هذا الوضع سبب لنا أزمة. ما هي أزمنا؟

يمكن أن نتصور هذه الأزمة في:

1 - عدم الثقة في أنفسنا وفي مقدّراتنا، وقد صارت الثقة في الآخر عمياء، نأخذ منه ما تأخذ بتسليم كامل، وثقة لا حدود لها في أن ما تأخذه صحيحاً وبقيناً. أمثلة على ذلك:

أحمد مغازي

- اعتقاد صدق الخبر الوارد-كمعلومة - من وسائل إعلام الآخر، الذي عرف هذه الحقيقة وأصبح يوجه المعلومات توجهها معينا حين يتعلق الأمر بشؤون المجتمع العربي الإسلامي خاصة.

- اعتقاد أن القدرة العلمية والتقنية لا يمكن أن يمتلكها غير هذا الآخر، لذلك علينا أن نأخذ

المنتجات والمصنوعات التي ينتجها هذا الآخر بدل صناعتها وإنتاجها في مصانعنا من طرفنا، لأن ذلك خارج عن قدراتنا، ومُكلف لنا أكثر من استيراده جاهزا. وهذا مما يوهمنا به الآخر ويرسخ في ذاتنا حتى نظل عالة عليه خاضعين له.⁽¹⁾

2 - انفصام الشخصية التي يعاني منها المجتمع الإسلامي في أفرادها وفئاته، من خلال السلوك الذي يصطاح عليه الأستاذ مالك بن نبي (ت 139هـ) "إنسان ما بعد الموحدين".⁽²⁾ ويضرب أمثلة لهذا الانفصام، منها:- المظهر العصري الذي يظهر به ابن "أصحاب المليارات" الحاصل على شهادة البكالوريا، نصف المتعلم الذي يحمل أفكار وأخلاق وميول الإنسان المتخلف.⁽³⁾

ويستدل محمد باقر الصدر (ت 1401هـ) على هذا الانفصام في شخصية الإنسان المسلم، خاصة في عالمنا المعاصر "بممارسة التناقض في حياته باستمرار، إذ يرفض في المسجد وبين يدي الله ما يمارسه في المتجر أو المعهد أو المكتب، ويرفض في حياته العملية ما يقده في المسجد ويعاهد الله على الوفاء به"⁽⁴⁾.

3 - وهناك مسألة أخرى تتعلق بأزمتنا النفسية، ألا وهي كيفية معالجة ما يصادفنا أو يُسلط علينا من قضايا، سواء في إطارنا الداخلي أو من خارج إطارنا، أعني من الآخر. نعالج قضايانا بسلوك انفعالي أكثر منه سلوك فعلي فاعل. ومن أمثلة ذلك داخليا: إذا قمنا باحتجاجات مقوّمة لما لا نرضى، أو نطالب بحق أو حقوق من حقوقنا سرعان ما نلجأ إلى العنف، متخذين الكسر والإحراق والتخريب كوسيلة للتعبير عن

¹ - محمد علي حسين: الاستقلال الثقافي، وزارة الإرشاد الإسلامي، طهران، 1402هـ، فصل: معركة القيم، ص 6.

² - مالك بن نبي: وجهة العالم الإسلامي، ترجمة: عبد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق، 1379هـ/1959م، ص 33. فرغ المؤلف من كتابة الكتاب باللغة الفرنسية في يونيو (جوان) 1954م.

³ - المرجع نفسه، ص 37.

⁴ - محمد باقر الصدر: منابع القدرة في الدولة الإسلامية، قسم العلاقات الخارجية، طهران، 1399هـ، ص 34.

من تحديات الآخر للمجتمع العربي الإسلامي

احتجاجنا ، وإظهار عدم رضانا. وما مثل هذه الوسائل من العنف نعتقد أنها وسيلة ناجحة وتلي الغرض. وهذا أسلوب مريض، دافعه الانفعال الذي تحكمه الأهواء، أكثر منه الفعل الذي تسنده الإرادة.

وخارجيا؛ معالجتنا لمسألة التعدي على شخصية الرسول P معالجة انفعالية لا فعلية، تمثلت في مسلكين: مسلك المظاهرات التي تخللتها - في بعض مجتمعاتنا- أعمال عنف، كحرق المقرات والمكاتب. الاحتجاج لبيان الموقف أمر مشروع، ووسيلة من الوسائل التي يمكن الاستعانة بها لإظهار الحق، لكن غير المشروع وغير المقبول أن نتعدى على الآخر، فلنا أدبياتنا وأخلاقنا الإسلامية وسلوكنا الإنساني، الذي يتميز به، ولا يسمح لنا بمثل ما حدث من سلوك، من بعض المتحمسين منا. ومسلك الدعوة إلى مقاطعة بضائع ومنتجات الدول التي صدر منها ما صدرو نحن لا يمكننا الاستغناء عن بعض هذه المنتجات، لأنه لا ينتجها سواها. قد يكون له أثره وتأثيره، لكنه يظل سلوكا انفعاليا، إذ سرعان ما نحتاج إلى هذه البضائع ونستوردها، لست في صالحنا. والسلوك الانفعالي سرعان ما ينطفي وتخبو جذوته، لأنه سلوك غير مستديم بطبيعته.

إن السلوك الفعلي الفعال يكون عن طريق الروية، وقد تفتن لهذا بعض المفكرين من السياسيين والدعاة والمثقفين، الذين اجتمعوا في استثمار ما حدث لصالحهم، وصنعوا منه حدثا لهم لا عليهم، فقرروا الاتصال بالشعوب الأوروبية والغربية عموما، وعلى رأسها شعب الدانمرك، من فئات مختلفة الأعمار والمستويات بفئات مختلفة الأعمار والمستويات، وعلى جهات متعددة؛ عن طريق الزيارة وعن طريق وسائل الاتصال ك"الانترنت"، وبطبع كتيبات جيب تعلق بسيرة الرسول P، والتعريف بالإسلام وتوزيعها مجانا.....

ويبدو لي أن أحسن وأفضل وسيلة للمقاطعة- في حال اللجوء إليها- هي القاطعة الطبيعية، أعني باه إنتاج ما نحتاجه محليا من هذه الدول، وتوسيع التعاون بين الدول العربية والإسلامية، مترفعين عن أي سلوك يعطل هذا التعاون أو يساهم في تعثره.

4 - الأمية المستفحلة في مجتمعنا العربي الإسلامي، والأمية نوعان:

الأمية التقليدية؛ أمية الكتابة والقراءة التي تفتن لها المجتمع العربي الإسلامي-خاصة العربي منه- وسار فيها سيرا طيبا، حتى تكاد بعض البلاد العربية أن تتخلص منها، خاصة في سنوات خلت - العراق سابقا مثلا-. لكن العملية انتكست من جديد نتيجة

أحمد مغازي

عوامل متعددة داهمت المجتمع العربي الإسلامي عن دراسة وبقصد فتراجعت العملية من جديد، على الرغم من جهود الهيئات والمنظمات والحكومات للقضاء على الظاهرة، فقد أعاق هذه الجهود التطورات العالمية الجديدة، بما تحمله من أعباء مرهقة وضعت أوزارها على كاهل هذا المجتمع وحكوماته، ونحن الذين نزعم أننا فئة مثقفة لسنا فاعلين في الموضوع لعدة عوامل ذاتية وموضوعية. وقد سجلت اليونسكو مؤخراً أن الأميين ممن بلغوا سن الرشد في العالم العربي وصل إلى 40 مليون من مجموع السكان المقدّر بحوالي 320 مليون نسمة، ثلثي هؤلاء من النساء. وحوالي 6 ملايين طفل ممن بلغوا سن

الدراسة لا يتمدرسون أبضاً، ثلثهم من الإناث.⁽⁵⁾ وفي مجال المعلوماتية واستثمارها لا تتعدى نسبة الذين يستخدمون الإنترنت 6% من مجموع سكان العالم العربي.⁽⁶⁾ الأمية النوعية؛ أقصد بها الأمية العلمية والتقنية التي لا نعرفها المعرفة الكافية لنمتلكها، نتيجة عدة عوامل، من أهمها الحصار المضروب على مجتمعنا من طرف الآخر، الذي يعتبر هذا الأمر من المستحيلات التي يمكننا الحصول عليها أو نتمكن منها باعتبارها وسيلة من وسائل التفوق والسيطرة للآخر، ومن وسائل التمرد عليه إن ما حصلنا عليها واستثمرناها، في إطار سلمي أو حربي.

وقد نتج عن هذه الأمية - مما نتج عنها - إيهامنا أنه من الأفضل لنا استيراد ما نحتاجه وصرف نظرنا عن الإنتاج، والاكتفاء بتصدير المواد الأولية. يقول أحد الغربيين عن شعوبنا ومجتمعنا "إن هذه الشعوب لن تتمكن أبداً من إنتاج ما تحتاجه من أجهزة المذياع (الترانزستور) أو من الثلاجات بنفس الأسعار الرخيصة التي تشتريها بها من الخارج، كما أنه لن يكون لهم أي دور في

الاقتصاد الغربي أو الاقتصاد السوفييتي (كُتب هذا أيام عزالاتحاد السوفييتي) أكثر من تصدير المواد الأولية التي تُعاد إليهم مصنعة جاهزة، ومهما كانت سرعة تقديمهم مع ما نقدمه لهم من مساعدات فإن الدول الغربية ستحزق تقدماً بصورة أسرع بكثير. وبعد عشرين عاماً من مراقبة تأخرهم وحرمانهم فإنه نادراً ما تصيبنني (أي السفير الغربي

⁵ - موقع شبكة الإعلام العربية www.moheet.com: المؤتمر الدولي حول تعليم الكبار المنعقد بتونس بإشراف: اليونسكو بتاريخ: الأحد 2009/01/11م. وصحيفة "العرب" الأردنية، صحيفة يومية، نشرت إحصائيات بمناسبة انعقاد هذا المؤتمر الإقليمي حول تعليم الكبار..

⁶ - www.Albwaba.com موقع البوابة 26-02-2009.

من تحديات الآخر للمجتمع العربي الإسلامي

الذي كتب هذا) الدهشة عند ما أراهم يرفضون المنطق والقيم الغربية حتى أنهم لا يملكون أحسن منها للتمسك به".⁽⁷⁾

ولعل هذا الإيهام قد مُهد له منذ زمن، حين رفع بعض العنصريين الغربيين- ومنهم مفكرون ومستشرقون- لافتة التفوق العرقي التي تمنح الذكاء والتفوق للجنس الآري الأوروبي خاصة، وتصف سواهم بأنهم دونه، وتصنفنا ممن لم يُقدّر لهم أن يحوزا نصيبا طيبا من الذكاء يؤهلهم. وقد كان هذا بإيعاز من الاستعمار التقليدي، ووسيلة من وسائله النفسية لإخضاع شعوبنا. من هؤلاء المستشرقين رينان(Renan (ت1892م)الفرنسي، الذي له مع السيد جمال الدين الأفغاني(1315هـ) مساجلات في هذا الموضوع.⁽⁸⁾ واليوم تُستغل هذه الفكرة بترويج آخر، ولنفس الغرض-الهيمنة على المجتمع العربي الإسلامي ومقدّراته-وهو: أن قدر هذه الأمة أن تظل أمة مستهلكة تابعة له، لا يمكنها وليس في قدراتها أن تخرج من الأمية النوعية، أعني: العلمية والتقنية.

وبناء على ما سبق كحقيقة وهمية ينبغي علينا ألا نضيع وقتنا وجهودنا فيما لا يعود علينا بباطل،
ونكتفي بأن نظل مستهلكين ليس لمنتجات الغرب المادية فحسب بل أيضا لمنتجاته الثقافية والعلمية والتقنية بالكيفية التي يمكننا هوبها.

5 - فوضى التصرف فيما لدينا من إمكانيات وما نحتاجه من متطلبات وحاجيات، فلا نفرق بين ما هو ضروري لا غنى عنه، وما هو كمالي يمكن الاستغناء عنه، ولا نميز بين الأولويات فنقدم الأَوَّلَى على ما هو أقل أولوية منه، نتيجة انسياقنا مع الإشباع النفسي لشبهه غرائزنا، أي غرائزنا التي نثبتها فينا عن طريق كسبنا لها بسلوكنا الانفعالي وتعوُّدنا، وانسياقنا للواقع المزَيَّف أو المفتعل، الذي يفرض علينا سلوكات نسلكها تقليدا للغير، واستظهارا بمظهر معيَّن قد ترفضه ذاتنا. (الذي يمتلك سيارة فخمة وبيته من الصفيح- الذي يشتري أحدث وسائل الإعلام والاتصال وأبنائه بحاجة إلى التعليم أولا- الذي يشتري مجلدات الكتب وهو أُمي، قصد تزيين بيته). ومن جهة أخرى؛ السلوك المتعلق بما يزيد عن حاجتنا ك(الذي يبني برجاً لسكنه وهو لا يحتاج إلا إلى 3 أو 4 غرف بمرافقها- ونفقات الأفراح والأعراس التي يتباهى أصحابها في الإنفاق)،

⁷ - مايلز كوبلر: لعبة الأمم، بيروت، 1970م.

⁸ - جريدة العروة الوثقى للسيد: جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده، جمع وتقديم: محمد عمارة.

أحمد مغازي

وليس مثل هذا السلوك قاصرا على الأفراد، فالإدارات في مجتمعنا أيضا تقتني ما يزيد عن حاجاتها (مكتب مدير خاص به مزود بأربعة هواتف).

إن مثل هذا السلوك يصطلح الأستاذ مالك بن نبي على تسميته "تكديس الأشياء"، لدرجة أنه يصنفنا في سلوكنا هذا في خانة "عالم الأشياء"، حيث أضى هذا السلوك "ظاهرة".

6 - عدم الاكتراث بالوقت؛ ونحن لدينا ما يبين لنا وظيفة الوقت وقيمه وأهميته في حياتنا، ويحثنا على استثماره خير استثمار (إشارات القرآن إلى الوقت وأهميته) مع علمنا أن الوقت الذي يذهب لن يعود. وإذا كانت الحكمة العربية تترجم الوقت بالسيف "الوقت كالسيف إن لم تقطعه قطعك" فإن الحكمة الغربية تترجمه نقودا "الوقت دراهم"، فهو يمثل جزءا أساسيا في بناء أي حضارة أو هدمها. ولعل معادلة الأستاذ مالك بن نبي التركيبية لمعنى الحضارة خير دليل على قيمة الوقت وأهميته. الحضارة = إنسان + زمن + تراب.

إننا لا نعطي الأهمية اللازمة للوقت بقدر ما نعطيها لما قد يكون تافها في حياتنا، ومن ثم كان إهدارنا للوقت بإرادتنا فعلا غير مسؤول نتحمل تبعاته في الدنيا (التخلف عن الركب وعن الأهداف)، وفي الآخرة بسؤال الله لنا عن الوقت الذي أنفقناه فيما أنفقناه؟ [لن تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يُسأل عن أربع الحديث).⁹ من هذه الأربع الوقت.

يمكن أن نلاحظ عدم اكتراثنا بالوقت من خلال عباراتنا المتداولة مثل: "نقصروا الوقت"، والمعنى

⁹ - ممن روى الحديث:

- الترمذي: سنن الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د:ط، ت)، ج4، باب: في القيامة، رقم الحديث: 2416، ورقم 2417.

- أبو محمد الدارمي: سنن الدارمي، تحقيق: أحمد زمري وخالد السبع العلمي، دار الكتاب العربي، ط1، بيروت، ج1، باب: من كره الشهرة والمعرفة، رقم الحديث 537 ورقم 539.

- أبو القاسم الطبراني: المعجم الكبير، تحقيق: حمد بن عبد المجيد السلفي، مكتبة العلوم والحكم، ط2، الموصل، 1404هـ/1983م، ج10، مسند عبد الله بن مسعود، رقم الحديث 9772. كلهم يروون "خمس" أو "خمس خصال" وانفرد الطبراني بروايتين يذكر فيهما "أربع". وج11، مسند مجاهد عن ابن عباس، رقم الحديث 11177. وج20، مسند الصنهاجي عن معاذ، رقم الحديث 111.

من تحديات الآخر للمجتمع العربي الإسلامي

أننا نمضيه ونُفنيه بطريق من طرق الإفناء والإذابة له، (اللعب بوسائل اللعب المختلفة، الجلوس على المقاهي لمجرد الجلوس تمضية للوقت، السمر الذي لا فائدة تُرجى من ورائه ...) دون استثماره فيما يفيد. وهناك فرق بين الترويح عن النفس بعد جهد وعناء وإهدار الوقت.

إذا كان هذا هو حالنا الذي لا ينبغي أن نكون عليه فإن غيرنا ممن يتحدانا يحسب لكل عمل حسابه، وقد يستغل الوقت كعامل من عوامل التفوق والسيطرة والتحدي. إنهم أناس عمليون، ونحن بحاجة إلى وضع عامل الوقت في حسابنا، في كل صغيرة وكبيرة إذا أردنا أن نخرج من وضعنا الفوضوي الذي نعانيه.

7- الهجرة النوعية؛ أقصد بها هجرة النخبة المتعلمة، خاصة منهم ذوا الاختصاص والخبرات العلمية والتقنية إلى بلاد الآخر. رجال متعلمون جاهزون، لديهم القابلية لاستثمارهم، ويستثمرهم هذا الآخر الذي حلوا بأرضه في أمرين: في بناء بلاده التي هاجروا إليها كإطارات فاعلة في العمران، في مختلف أوجهه.

وفي حرمان بلدانهم منهم ككفاءات يمكن أن تقوم بإنجاز ما تقوى دولهم به، ويكونون عقبة في وجه هذا الآخر تعيق مخططاته وسلوكه التسلطي على مجتمعنا، في حال تركهم في مجتمعاتهم.

إن الهجرة في عهد الاستعمار التقليدي كانت تدعو الحاجة-المادية الضرورية خاصة- إليها آنذاك، ولم تكن مدروسة ومقننة، قائمة على الانتقاء الذي تقوم اليوم عليه، لكنها اليوم تمثل خطراً مخيفاً لمجتمعنا وبلادنا. كيف تربي الأسر أبناءها وترعاهم وتتحمل المشاق أثناء مرافقتهم حتى سن الشباب؟ وكيف تتحمل حكوماتهم الصرف عليهم وتكوينهم، وتخصيص طاقم من المكونين لهم لمدة سنوات، ثم يأتي الآخر فيأخذهم جاهزين، ثمرة يقطفها ناضجة، جاهزة للاستعمال؟

إن الولايات المتحدة تأخذ كل سنة- من بلدان العالم العربي والإسلامي خاصة ومن بلدان العالم الثالث عامة- نسبة معينة من العلماء والخبراء تجدد بها سكانها، وتواصل بها نشاطها، وتحرم أهلها منها، مستغلة في ذلك عدة عوامل، منها:

- مشكلة البطالة، بطالة الإطارات العلمية والتقنية ببلدانها خاصة.

- مشكلة عدم القدرة على توظيف ذوي القدرات العلمية واستثمارهم في اختصاصاتهم بتوفير الإمكانيات اللازمة لذلك. الإمكانيات المالية وإمكانية التجهيز واستيراد الأجهزة التي يَظُنُّ الآخر في توريد مجتمعاتنا بها، ثم مشكلة التمويل والصرف

أحمد مغازي

على متطلبات البحث العلمي الواسع، نظرا لانشغال الحكومات بضروريات قد تكون ذات أولوية على هذا الجانب.

وإذا قارنا ما تخصصه حكومات المجتمع العربي الإسلامي للبحث العلمي وما يتعلق بتطبيقاته في ميزانيتها وما تخصصه الدول المتطورة لوجدنا أن النسبة ضئيلة عندنا، لا تكاد تُذكر بالنسبة لما يخصصونه.

إن الحكومات الغربية بما فيها الولايات المتحدة وكندا لا تشغلها ظاهرة هجرة الأدمغة إليها بقدر ما تشغلها المعطيات الجديدة، التي تتصورها في الغد. يتصورون أن هذا الغد يحمل من المعطيات ما يعجزون عن التحكم فيها، وتعجز مقدراتهم على السيطرة على هذا الوضع الجديد الذي قد يؤول إليه المجتمع العربي الإسلامي، خاصة، المتمثل في ظهور الإنسان النوعي بكثرة لا يمكن التحكم فيها والسيطرة عليها وتوجيهها.

قام أحد المعاهد الأوروبية المهمة بشؤون العالم العربي وشمال أفريقيا (المغرب العربي في اصطلاحهم) خاصة - معهد العالم العربي الفرنسي-(¹⁰) بدراسة، استخلص منها مما استخلص ثلاثة أمور:

- أن نسبة الذكاء في العالم العربي أكثر منها في أوروبا نسبة الذكاء في أوروبا 60% والمستثمر منها حوالي 45%. ونسبة الذكاء في العالم العربي 80% والمستثمر منها حوالي 18%. فكم نسبة الذكاء المعطلة - حسب هذه الدراسة - ؟.

- إن سكان المغرب العربي سيتضاعفون ليصبح عددهم عدد سكان أوروبا مجتمعة أو يزيدون عليها، في فترة ليست بالبعيدة من القرن 21م.

- التزايد السكاني لا يكون تزايدا كميا فحسب، إنما الأهم أن هذا التزايد سيحتوي نسبة كبيرة من البشر النوعي، أي أن المثقفين والعلماء وأهل الخبرة سيمثلون نسبة كبيرة من هذا التزايد.

وفي هذا الحال لا يمكن للبلاد المستقطبة للهجرة أن تسع قدراتها هذه الأعداد الهائلة- التي ينبغي في نظرهم ألا تبقى ببلاها- لأنها ستبلغ درجة التشبع. ويكمن خوف الآخر في بقاء هذه الأعداد المكونة في بلادها، لاحتمال أن تتظافر جهود هؤلاء الشباب وتتمكن حكوماتهم ومجتمعاتهم من استثمار مواهبهم في مجالات الاستثمار التي تعود على

¹⁰ - أنشئ هذا المعهد سنة 1980م من طرف 22 دولة عربية وفرنسا. وودشن سنة 1987م ليكون حلقة وصل بين الثقافة العربية والثقافة الأوروبية، ومن أهدافه - حسب ما أعلن عنه مؤسسوه- التعريف بالثقافة والحضارة العربية للأوروبيين عامة والفرنسيين على وجه الخصوص.

من تحديات الآخر للمجتمع العربي الإسلامي

مجتمعاتنا بالمنفعة والخير، الذي يمتد للاكتفاء الذاتي في بعض المجالات على الأقل فيُحرَم الآخر من وسيلته المفضلة للسيطرة عليها: الهيمنة على هذه المجتمعات وفرض تبعيتها له.

8- من الأزمات التي يعاني منها مجتمعنا أيضا، خاصة الشباب (وهي أزمة عالمية)، أعني بها "أمراض الطاعون".⁽¹¹⁾ كانتشار المخدرات وتفشي تعاطيها بين الشباب خاصة، وقد تعددت وتنوعت أصنافها وطرق تعاطيها، وعجزت الدول والحكومات في معالجتها والحد من ظهورها. وانتشار "الإيدز" داء العصر المستعصي على العلاج، وغيرها من الأمراض كالأمراض الناجمة عن سوء التغذية ونقصها.

9- ومن الأزمات التي لا يمكن إغفالها أزمة الثقافة والتعليم، فالإعلام كوسيلة من وسائل الاتصال والتبليغ تستخدمه الدول القوية وسيلة من وسائل السيطرة على الشعوب، وضرر هذه الوسائل عام، وهو علينا أشد وأخطر، نظرا لخصوصياتنا التي تتميز بها عن سوانا. فبعض المجتمعات الغربية أيضا تعاني من بعض ما نعاني منه نحن أيضا. على سبيل المثال: علماء النفس والتربية والاجتماع في ألمانيا يصرخون مستغيثين بحكوماتهم منادين بإنقاذ الطفولة "مما تعرضت له من وسائل الإعلام، خاصة التلفزيون الذي-بتعبير هؤلاء العلماء- أعلن نهاية الطفولة".⁽¹²⁾ بعد قيام مجموعة منهم بسبر للآراء شمل بعض المتخصصين وبعض الشباب تتراوح أعمارهم ما بين 14 و29 سنة لمجموع عينات الإحصاء 2034 عينة، وكان مجموع الأسئلة المطروحة حول الموضوع 120 سؤالاً.

إن انتشار وسائل الإعلام والاتصال المختلفة- في جانبها السلبي- سبب رئيس من أسباب أزمئنا، وتحدي لنا من جملة التحديات، ونحن لا نملك الطاقات والقدرات والوسائل التي تمكننا من مواجهتها وتوجيه أطفالنا وشبابنا توجيهاً يغبنيهم عن اللعب بنا وبهم. وإذا كان بإمكان أسرنا أن تقلل من خطر التلفزيون بالمراقبة والتوجيه نحو برامج معينة فإن "الآترنت" خطورته أشد، لأنه أشد تفلتا من التلفزيون.

¹¹ - سماها رسول الله ﷺ هذه التسمية، فقد روى ابن ماجة في سننه قوله: [...]لم تظهر الفاحشة في قوم يعلنوا بها إلا فشا فمهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا.....بقية الحديث). ابن ماجة: سنن ابن ماجة، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت، (د: ط، ت)، ج 2، باب العقوبات، رقم الحديث 4019.

¹² - عن مجلة: der chepegeler الألمانية، عدد 14، بتاريخ: 1998/03/30م، ص 121.

أحمد مغازي

وإذا عرضنا للتعليم نلاحظ أن أزمنا فيه متشعبة، من حيث تدني المستوى، (وهي ظاهرة يعاني العالم كله منها حاليا وإن اختلفت الأسباب والنسب). ولعل من أسباب هذا التدني عندنا: اكتضاض الأقسام، عدم الاهتمام الكافي بالمؤطرين والمربين، من حيث تجديد معلوماتهم ومعارفهم، وتزويدهم بطرائق التدريس في جديدها، عن طريق التكوين المستمر، الذي يدوم فترة تمكنهم من الاستفادة بالفعل، بعيدا عن أقسام التدريس، علاوة على ضرورة توفير وسائل المتابعة لأي تطورات في مجالهم وتمكينهم منها، إضافة إلى إصلاح أوضاعهم الاقتصادية والاجتماعية، إصلاحا يمكنهم من أداء رسالتهم أداء مريحا ومثمرا.

ومن أسباب أزمنا في التعليم أيضا، إهمال تحفيز المنتسبين للدراسة والبحث من تلاميذ وطلاب

وباحثين. ففيما يتعلق بالتلاميذ خاصة. يلاحظ هذا الإهمال في ترك التحفيز على القراءة والمطالعة بتوفير وسائلها، والتعويد على الاعتماد على الجهد الذاتي، والعمل على بناء الشخصية العصبية التي تفرز الرجال. فمن الضروري أن تصل نتائج التحفيز إلى أن تصبح القراءة إدمانا لا يستغني عنه التلميذ، رجل الغد، أو الفرد في المجتمع. ونعم الإدمان، أليس أفضل من الإدمان على شيء آخر؟.

قام الباحث التونسي صالح السويسي بدراسة أورد فيها أن الوقت الذي يستغله الفرد العربي في القراءة لا يتجاوز 6 دقائق في السنة، وأن اهتمام الإنسان العربي متمحور في قراءة "الجرائد التي تعني بأخبار المشاهير من أهل الكرة والفن والفضائح العامة والخاصة"، ويعزف عن قراءة الأدب والفلسفة والثقافة والعلوم. ويعقب على هذه الظاهرة بعصبية وبغیظ بقوله: "نحن أمة تفكر برجلها وبغرائزها لا بعقلها كما تفكر بقية شعوب العالم".

ونتيجة لتدني مستوى القراءة والمطالعة تقلص عدد الإنتاج والطبع، فقد كان ما ينتجه العالم العربي في ستينيات القرن الماضي أكثر مما ينتجه في القرن الحالي، ومعظم ما يُنتج يظل حبيس رفوف المكتبات والمكتبات العامة ودور النشر.

ويستند الباحث في توزيع الكتب على الأفراد والكتب المقروءة من قبل الأفراد في دول العالم- ومنها دول العالم العربي- إلى تقارير منظمة اليونسكو التي تدل على ما يلي:

* بالنسبة لتوزيع الكتب: في أوربا؛ لكل مليون ساكن 584 عنوانا. وفي أمريكا؛ لكل مليون ساكن 212 عنوانا. وفي العالم العربي لا يتجاوز العدد 30 كتابا لكل مليون ساكن.

من تحديات الآخر للمجتمع العربي الإسلامي

* بالنسبة للكتب المقروءة من طرف الأفراد يسجل التقرير نماذج من نسبة المقرئية، على رأسها مغتصبة الكيان الصهيوني، التي يقرأ الفرد فيها حوالي 40 كتابا في السنة. أما الفرد الأوربي فيقرأ 35 كتابا في السنة. ومن أفريقيا السنغال كنموذج يقرأ فيها الفرد 4 كتب.

أما العالم العربي فلكل 80 فردا عربيا كتاب في السنة. (13)

وهناك نقطة أخرى تتعلق بالهوية؛ وهي مسألة اللغة التي تدنت وضعيتها، سواء في المدارس والمؤسسات التعليمية أو خارجها في المحيط. أصبحت اللغة عند التلميذ غير اللغة المتعارف عليها، ولا يهتم منها إلا ما يكتب ويبلغ كما يحلوه، دون التزام بأدنى ضوابطها الأولية. أما في المحيط فاللغة هجين من عدة لغات، ولا نبالغ بالقول: إنها صارت أي شيء إلا اللغة.

ثالثا: التحديات:

التحديات التي تواجهها أمتنا، ويواجهها الفرد العربي المسلم كثيرة ومتعددة، ولعل بعض عناصر أزمنا تتضمن تحديات. نقتصر على تحديين مهمين، نتناولهما وهما: التنصير والعولمة.

تحدي التنصير:

يعني التنصير دعوة غير النصارى إلى اعتناق المسيحية أو النصرانية وإخراجهم من أديانهم التي هم عليها. والتنصير كظاهرة وحركة سبقت استفحال الاستعمار التقليدي، ابتداء بالتنصير القسري للمسلمين بإسبانيا وأماكن وجودهم بالضفة الجنوبية لأوربا المطللة على البحر الأبيض المتوسط مرورا بالحرب الصليبية وفشلها ثم بالتنصير الذي صاحب حركة الاستعمار، خاصة في أفريقيا وأقصى آسيا. فمن جملة تعريفاته: أنه "حركة سياسية استعمارية بدأت بالظهور إثر فشل الحرب الصليبية بغية نشر النصرانية بين الأمم المختلفة في دول العالم الثالث بعامة، وبين المسلمين بخاصة بهدف إحكام السيطرة على هذه الشعوب". (14)

ولئن كان هذا كان هذا التنصير يقوم به رجال الكنيسة بمساعدة الاستعمار فإنه أخذ طابعا دوليا منهجيا، في عصرنا، ابتداء من مؤتمر مدينة "كلن إير" بولاية

13 - قدمت هذه الدراسة في مؤتمر " لغة الطفل العربي زمن العولمة" الذي عقد بالقاهرة بتاريخ: 2007/04/25م. بإشراف اليونسكو والإيسكو.

14 - موقع شبكة الفلق www.Alfalaq.com نفس التعريف أوردته الموسوعة الميسرة، إصدار الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الرياض، ص159.

أحمد مغازي

‘كولورادوColorado’ الأمريكية في ماي 1978م بمشاركة رجال الكنيسة في العالم وبعض رجال السياسة، وبإشرافهم. وخلاصة ما توصلوا إليه واتفقوا عليه ما يلي: "يجب شن حرب تنصيرية لتنصير المسلمين في كل أرجاء الدنيا، واقتلاع الإسلام من جذوره، وطي صفحته من هذا الوجود".⁽¹⁵⁾

ضمّن هذا المؤتمر قراراته التي يعتزم عقده تنفيذها لإزالة الإسلام كتابا احتوى قرابة 1000 صفحة في طبعته العربية.⁽¹⁶⁾

يقوم بهذا العمل الأكاديمي قساوسة التنصير لمحاربة الصحو واليقظة الإسلامية التي يخشاها الغرب، لذلك - في نظرهم- يجب اختراقهم أي العرب والمسلمون، ونشر التنصير فيهم، واقتلاع الإسلام من جذوره منهم لضمان إبقاء الهيمنة على المجتمع العربي الإسلامي.

والملاحظ أن تصاعد التدخل الأجنبي في شؤون العالم العربي الإسلامي يتزامن مع مشاريع النهضة والإحياء والتجديد.....".

يعلن الغرب بصراحة - من خلال هذا المؤتمر- أن ما يقومون به "حرب مقدسة" لتحقيق "نبوة مقدسة" هي "عودة المسيح ليحكم هذا العالم على أنقاض الإسلام والمسلمين".⁽¹⁷⁾

ومن ثم ما يقومون به من تنصير في إطار التوحيد العقائدي، ومن دعوة إلى العوالة وعمل حثيث على نشرها بأية وسيلة في إطار توحيد العالم تحت الهيمنة الغربية التي تتزعمها الولايات المتحدة هو عمل لتحقيق هذه النبوة، وتهيئة لعودة السيد المسيح ليجد العالم موحدًا، وكأنهم ييسرون مهمته - حسب أوهامهم-.

وما دام العالم العربي والإسلامي قائما ويضاد المسيحية فإنه يمثل- في نظر الغربيين- "محور الشر"

¹⁵ - محمد عمارة: الإسلام والتحديات الجديدة، ندوة الثقافة والعلوم، ط1، دبي، 1993م، ص63.

¹⁶ - عنوان الكتاب باللغة الأجنبية: The gospel and Islam نشر مؤسسة M.A.R.C وترجم إلى اللغة العربية بعنوان: التنصير-خطة لغزو العالم الإسلامي- شاهدت الكتاب باللغة العربية وتصفحته بعجالة عند الأستاذ بن داود عبد القادر المحامي المعتمد بالمحكمة العليا بالجزائر أثناء انعقاد المؤتمر الدولي الثالث حول "الحرية الدينية في الإسلام ومواثيق وقوانين حقوق الإنسان" بتاريخ: 28 من ربيع الثاني 1429هـ الموافق ل: 05 من ماي 2008م، بجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية.

¹⁷ - محمد عمارة: نفس المرجع، ص 16.

من تحديات الآخر للمجتمع العربي الإسلامي

حسب تعبير بعض ساستهم (بوش2 مثلا)، وبلغه سواهم "إمبراطورية الشر"، على أساس أنه يمكن للعالم العربي الإسلامي في ظل الصحوة واليقظة أن يلم شتاته، وتتحد كلمته فيكون إمبراطورية.

وإذا كان فرض التبعية بمقدماته يفرض تجريدنا من السلاح الحربي، ومن الاستقلال الاقتصادي، ومن الإرادة السياسية" فإن من وراء هذا الطور ... تجريدنا من الإسلام باعتباره الهوية المميزة لأمتنا".⁽¹⁸⁾

وقد يتساءل بعض مفكري الغرب ومنظريه "ما إذا كان من الممكن جعل الإسلام يقبل بقواعد المجتمع العلماني من خلال صراعات كثيرة وطويلة أم أن رسوخ الإسلام في المجال السياسي والاجتماعي يجعله يرفض القبول بالمبدأ المسيحي الغربي الذي يفرق بين ما لله وما لقيصر"⁽¹⁹⁾.

يعترف صاحب المقال بالمجلة- المرجع- أن الإسلام عصي عن العلمنة؛ ذلك - حسب تعبيره-

أنه "الثقافة الوحيدة القادرة على توجيه تحدٍ فعلي وحقيقي لمجتمعات الغرب، وهذه المجتمعات تسود فيها أمراض الحضارة الغربية المعاصرة". فالإسلام في رأي صاحب المقال- وهو رأي هؤلاء المفكرين الغربيين- "من بين الثقافات في الجنوب هو الهدف المباشر للحملة".⁽²⁰⁾

وببدو أن مجمع القساوسة هذا حين يئس من إخضاع المجتمعات العربية الإسلامية إلى "ديمقراطية علمانية"، أو يئس من علمنة هذا المجتمع يحاول أن يجعل الحضارة المسيحية اليهودية= الغربية" هي الحضارة المهيمنة".⁽²¹⁾

وعلمنة الغرب للإسلام وللغرب والمسلمين ليست حبا في العلمانية، "إنما لكسر شوكة استعصاء الإسلام على التبعية والإلحاق والذوبان والاختراق".⁽²²⁾

¹⁸ - المرجع نفسه، ص 20.

¹⁹ - EDWARD Mortiner : مجلة: International affaires : هذه المجلة دولية، يصدرها المعهد الملكي البريطاني للشؤون الدولية باللغتين: الإنجليزية والفرنسية بجامعة "كمبردج"، بريطانيا. وإلى مثل هذه الأفكار يذهب الرئيس "نيكسون" في كتابه "الفرصة السانحة"، ترجمة: أحمد صدقي مراد، القاهرة، 1998م.

²⁰ - Ibid

²¹ - محمد عمارة: الإسلام والتحديات الجديدة، المرجع السابق، ص 24.

²² - المرجع نفسه، ص 26.

أحمد مغازي

إن الدول الغربية التي تدعي العلمانية وتبناها هي علمانية بالاسم فقط، ومما يدل على هذا وجود "ديمقراطيين مسيحيين" في بلدان أوربية عديدة، وليس هذا الحضور المازج بين الديمقراطية والمسيحية وجد بمحض المصادفة ليتبنى أفكار الوحدة الأوربية، ويكون بعض عناصره من أشد العناصر حماسة لبناء هذه الوحدة. يمكن أن نذكر على سبيل المثال:

- كرونار أدنار: Kronar Adenwar (1876-1961م) الرجل السياسي الألماني، مؤسس الحزب الديمقراطي المسيحي سنة 1945م، وتولى مستشاريه ألمانيا من سنة 1949م إلى حين وفاته.

- روبير شومان: ROBERT Schuman (1886-1963م) السياسي الفرنسي، الذي كان من مهندسي الوحدة الأوربية، شغل منصب وزير الخارجية، ثم نائبا بالبرلمان، صاحب مشروع اقتصادي اشتهر باسمه.

- ألسيد دي جاسبري: Alsied de Gasperi (1881-1954م) رجل السياسة الإيطالي، الذي أعاد تنظيم الحزب الديمقراطي المسيحي، وترأس وزارة حكومة إيطاليا، وأدخلها في الحلف الأطلسي.

كان هؤلاء وأمثالهم مخلصين للكاتوليكية، مزجوا بين الديمقراطية والمسيحية باعتبار أن العامل الديني محرك أساس للمجتمعات، والتخلي عنه من قبيل الوهم. وإذا كان الغرب-على ما عنده من فوضى في الدين وفي الأخلاق- يحاول أن يجمع شتاته مستغلا عامل الدين فإن أبناء المجتمع العربي الإسلامي-خاصة المتغافلون عن هذه الحقيقة الذين يدعون إلى العلمانية ويدّعونها-لا يستثمرون عامل العقيدة لتوجيه مجتمعنا وشعوبنا للتعاون المجتمعي والثقافي والاقتصادي، باعتباره عاملا موحدا. إن الغرب يخشى من استثمار هذا الجانب من العرب والمسلمين في حياتهم وعلاقاتهم الداخلية والدولية. وليس بجديد القول: إن نهاية الشيوعية كشف عن تعريف الغربيين تعريفا مسيحيا.

تحدي العولمة:

هناك كلمات متداولة متشابهة، هي اصطلاحات لها مدلولها، من الأفضل بيانها، وهي: العلمية- العلمانية- العالمية- العولمة.

العلمية: نسبة إلى العلم، وهو مصطلح يتعلق بمنهج البحث والأحكام التي يصل إليها، فيقال: هذا منهج علمي، وهذا حكم علمي. وهذا منهج غير علمي، وحكم غير علمي.

من تحديات الآخر للمجتمع العربي الإسلامي

بناء على استناد الباحث أثناء بحثه إلى ضوابط وخطوات ترتيبية منطقية خالية من أي تناقض.

العلمانية: مصطلح "العلماني" يقابله مصطلح "المقدس" و"الدولة العلمانية" تقابل "الدولة الدينية". و"المجتمع العلماني" يقابل "المجتمع المقدس". والمقدس عند Howard Bokr صاحب الاصطلاح منحصر فيما هو "ديني أو روحي أو إلهي أو كنسي".⁽²³⁾ لكن "جون هيوك" (1817-1906 م) يعطينا تعريفاً أكثر مرونة، فيعرفها بأنها: "الإيمان بإمكانية إصلاح حال الإنسان من خلال الطرق المادية دون التصدي لقضية الإيمان بالقبول أو الرفض". ويلاحظ المرحوم عبد الوهاب المسيري أنه يمكن النظر إلى العلمانية، في مسيرتها، من حيث توظيفها تنقسم إلى قسمين: علمانية جزئية وعلمانية شاملة.⁽²⁴⁾

لكن هذا المصطلح ليس له نظير في الإسلام لأنه لا يوجد فيه ما يعرف بـ "الدولة الدينية"، وقد عالج هذا الموضوع المفكر الإسلامي حسن حنفي فبين أن الإسلام في عقيدته وفي تشريعه لا تتضمن طبيعته أي كهنوتية أو توسط بين الإنسان وخالقه. والآن يُطرح في الغرب عند بعض مفكره إشكال: ما بعد العلمانية post-secularism ؟ الذي طرحه البروفيسور البريطاني "جون كين" باعتباره أن لفظ "post-" التي تعني "ما بعد" تعني أيضاً "نهاية"، حيث ينتقدها بأنها أخفقت في تحقيق وعودها.⁽²⁵⁾ العالمية: تعني مما تعنيه "لا بد أن تكون طبيعة الشيء ونتائجه صالحة لأن يستخدمها كل البشر".

العولمة: هي من قبيل "الفعل" وليس من قبيل "الصفة"، وتعني "إخراج الشيء عن طبيعته الإقليمية وفرضه على المجتمعات الأخرى، وإن لم تتفق نتائجه مع طبيعة وظروف المجتمعات الأخرى".⁽²⁶⁾

²³ - محمد عاطف غيث : قاموس علم الاجتماع، دارالمعرفة الجامعية، القاهرة، 2000م. اصطلاح "علماني"

²⁴ - عبد الوهاب المسيري: مفاهيم ومصطلحات معرفية وفلسفية، موقع إسلام أن لاين نت، IslamOnline.net

²⁵ - المرجع نفسه، نفس المقال.

²⁶ - محمد شاهد: الخطاب الفلسفي المعاصر- من العام إلى الأعم -، دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة 2000م، ص 348.

أحمد مغازي

والعولمة فكرة غربية رأسمالية تهدف إلى العودة إلى النظام الرأسمالي (ما قبل الثورة الصناعية). ينظر إليها بعض المحللين على أنها "صورة المستقبل بالعودة إلى الماضي السحيق إلى الرأسمالية". للوصول إلى مجتمع ذي طبقتين:

طبقة ثرية ثراء فاحشا، تتكون من 20 % من سكان العالم.

وطبقة سحيقة في الفقر، تتكون من 80 % من سكان العالم، يعتبرون من الفائض عن الحاجة، يمكن حفظ حياتهم عن طريق: الإحسان والتبرعات وأعمال الخير".⁽²⁷⁾ لاستغلالهم من طرف

الطبقة الأولى = المجتمع المفيد، لأنهم ليسوا من المجتمع المفيد. ومن مقدمات العولمة التي تفرز المجتمع المفيد: زيادة البطالة، خفض الأجور، تدني مستوى المعيشة، تقلص الخدمات المجتمعية التي تقدمها الدولة، ابتعاد الحكومات عن النشاط الاقتصادي وحصر دورها في "حراسة النظام"، الذي يمثله ويسيطر عليه المجتمع المفيد، عملا بنصيحة رئيس الولايات المتحدة السادس عشر (1860-1865م) أبراهم لنكولن "الغوا الضرائب الجمركية وادعموا التجارة، عندئذ سيمهبط عمالنا في كل فرع من فروع الاقتصاد- كما هي الحال في أوروبا- إلى مستوى رقيق وبؤساء".⁽²⁸⁾ ومن الوسائل المعتمدة حاليا من قبل الدول الداعية إلى العولمة والعمل من أجل التنصير:

- ابتزاز الدول عن طريق الديون التي استُدرجت يوما لاقتراضها، وخلق آليات لهذا الابتزاز: صندوق النقد الدولي- البنك الدولي -صناديق ما يُسمى بمساعدة الدول النامية.....

- اللجوء إلى ضرب اقتصاد الدول التي تشق طريقها سريعا إلى الساحة العالمية (تركيا- إندونيسيا - ماليزيا- إيران) ، لأنها ستنافس الدول الصناعية الكبرى. يمكن التفريق بين العالمية والعولمة من خلال المقارنة بينهما في بعض الأوجه- لأن العالمية ليست العولمة- فيما يلي:

أ - تعترف العالمية بخصوصية الآخر وضرورة أخذها في الاعتبار واحترامها، أما العولمة ف: لا تعترف بالآخر، بل تنكر حقه في الاحتفاظ بخصوصيته الثقافية والاجتماعية".

²⁷ - هانس بيتر مارتين وهارالد شومان: فخ العولمة، ترجمة: عدنان عباس علي، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت 1419هـ/1998م، ص9.

²⁸ - المرجع نفسه، ص 180.

من تحديات الآخر للمجتمع العربي الإسلامي

ب - تعرض العالمية نفسها على الآخر ولا تفرض نفسها عليه، وحين تعرض نفسها كبديل تترك له الحرية ليأخذ من البديل ما يراه صالحا، بينما تفرض العولمة تبني أفكارها ومنهجها على الآخر (الذي ليس معنا ضدنا).

ج- لا تفضي العالمية إلى رد الفعل المضاد، ولا تضمر العداء للبديل نتيجة الحرية التي تتمتع بها. أما العولمة فتؤدي إلى رد الفعل نتيجة عدم اعترافها بالآخر وفرض هيمنتها عليه وعلى مقوماته، بفرض ما يُسمى بالنظام العالمي الجديد بالقوة عن طريق: "السعي أن يصبح العالم كله يدين بنظام اقتصادي وثقافي واحد".⁽²⁹⁾ يركز أصحاب هذا السعي وأنصاره على العالم العربي الإسلامي أكثر من غيره آنيا، حيث إن هذا المجتمع - بما يملكه من مقدرات وقدرات ما دية وغير ما دية- يمكن أن يشكل "قوة قادرة على تقديم بديل يفوق في قوته ومنطقيته وإنسانيته كلا من النظامين التقليديين، وهما الشيوعية والرأسمالية".⁽³⁰⁾ هذا البديل الذي يخوفهم ويحذون من نموه واستفحال أمره هو الذي أطلق عليه رئيس الولايات المتحدة الأسبق: ريتشارد نيكسون، في كتابه "الفرصة السانحة" "الخطر الأخضر"، أي الخطر الإسلامي، بعد "الخطر الأحمر" أي الخطر الشيوعي.

رابعا: الحل:

لا يمكن تجاوز هذه التحديات أو تخطيها بسهولة ويسر، وما يُقترح من دراسات لهذه الظواهر هي مجرد اقتراحات يعتقد من يقدمونها أنها قد تضع هذه الظواهر موضع الاهتمام، وتساهم في فهمها، وتدفع إلى معالجتها، أو تحرص على ذلك.. ومن ثم ما نقدمه مما نعتقد أنه حلول يدخل في هذا الإطار.

أ - ينبغي معاكسة المغلوب للغالب بدل الخضوع له، والخوف منه . ولئن وجدت هذه المعاكسة واستثمرت على الاستعمار التقليدي أثناء احتلاله وأدت إلى نتائج إيجابية، من أولها التحرر، فإنها لا تزال صالحة لأداء وظيفتها في التخلص من الاستعمار الجديد بتكييفها بما يناسب التحدي المسلط علينا.

ب - الاعتماد على الذات ومقوماتها ومقدراتها باستثمار الجهود والإمكانات الذاتية، مهما قل شأنها أو تضاءلت فعاليتها.

²⁹ - محمد شاهد: نفس المرجع، ص 345.

³⁰ - المرجع نفسه، ص 346.

أحمد مغازي

ج - إبراز المبادرات النافعة، التي تخدم مصلحة الجماعة، وتشجيعها وتفعيلها واستغلالها في إنشاء ما يحتاجه المجتمع ويغنيه عن الغير واحتياجه إليه، وتساهم في تحرير المجتمع من ضغوطات هذا الغير وإكراهاه.

د - توعية المجتمع توعية مستمرة دؤوبة لوضعه في الصورة الصحيحة التي تشخص ما يعانيه وما يُخطُّ له.

من أدواتها : وسائل الإعلام التقليدية والمتطورة : من دروس المساجد وخطبها- مع مراعاة ومتابعة تجديد الخطاب المسجدي خاصة من حيث المنهج-، واستثمار النوادي المختلفة والمؤسسات التعليمية والتربوية لوعي ما يدبر لنا، وحث مختلف الفئات على الاجتهاد بالعمل الفعال للخروج من هذه الوضعية. إلى الوسائل الإعلامية المتطورة بإمكاناتها ووسائلها التوضيلية التبليغية.

هـ - التخلي عن النزعة الفردانية "أنا"، إن في التفكير وإن في السلوك والعمل، وإحلال محلها النزعة الجماعية في التفكير والسلوك، وتصبح هذه النزعة عادة في نفوس أفراد المجتمع وفئاته.

و - الاجتهاد لكسب العلم والتقنية بتظافر جهود كل أبناء المجتمع، من وسائل ذلك: إعطاء الأولوية في الدراسة والبحث لهذا الجانب وتفعيل مردوده في الحياة العملية، وتشجيع من يفتح الله عليهم بالجديد باستثمار جديد هم، وتمويله من الدولة ومن أهل البر والخير (أصحاب الأموال- رجال الأعمال- الجمعيات المدنية المتعددة....). وقبل هذا وذاك؛ لا بد من ربط المؤسسات التعليمية والاقتصادية والاجتماعية بالمحيط، ربطا يجعلها تعيش أوضاعه بوعي، مع عدم إهمال الجانب الأخلاقي في العملية كلها.

ز - إحياء ما مات أو ما تُنوسي ويكاد يندثر من مقدرات المجتمع الموروثة مثل "الأعباس أو الأوقاف"، التي كانت تمثل بابا رئيسا للخدمات المجتمعية، من القيام بما يتعلق بالتعليم؛ بناء للمؤسسات وإنفاقا عليها، وخدمة للأسر المعوزة، والقيام بالصحة والعلاج ببناء المشافي ورعايتها. ومثل تنظم باب الزكاة وتفعيله مجتمعيًا، بالإشراف عليه من الجمع إلى ما بعد صرفه بالمتابعة والمعالجة لما يجد في شأنه. ومثل الهبات والعطيات بأنواعها، التي كانت من معاملات المسلمين، وهي مدونة في كتب الفقه الإسلامي بإحيائها وتشجيع المجتمع للأخذ بها، وتنظيمها بسن القوانين التي تَحْكُمُهَا وتُحْكِمُهَا، وتفعيلها والإشراف عليها ومتابعتها...

يمكن تطوير هذه المقدرات وتوسيع مجالها إلى مجالات استثمارية صناعية وتجارية وعلمية، تسهم في إخراج المجتمع من التخلف الذي يوصم به، وترفع الغبن عنه. ولعل

من تحديات الآخر للمجتمع العربي الإسلامي

تجربة استثمار أموال الزكاة عندنا في إنشاء مشاريع مختلفة، وتمكين أفراد وفئات المجتمع من الاستفادة منها، من خير المشروعات التي ستساهم في سد حاجات المجتمع وإغنائه عن الغير. إلا أن هذه العمليات -كما سبق- بحاجة إلى توجيه ومراقبة مستمرة، حتى لا تتبدد الأموال ولا تحصل الغاية المرجوة .

ح- الاجتهاد في توفير ما يحد من ظاهرة "الهجرة النوعية"، إن لم يمكن القضاء عليها كظاهرة تُستغل لإتهاك قوانا، وإبقائنا في حلحلة التخلف والتبعية. يمكن تحقيق ذلك بدراسة عواملها وأسبابها المختلفة، ومعالجتها بصدق وبأمانة وبجدية .